الحضور الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يعزُّ عليَّ أن أقفَ في هذا المكان الذي يزدهر حصناً يذود عن الضّادِ كنزِنا الأغلى بكلّ ما ملكَ من عنفوانٍ وبأسٍ، يعزُّ عليَّ أَن يتحرّكَ لساني راثياً ناسكاً من نُسّاك اللّغة العربيّة هو الدكتور **ممدوح خسارة** الذي شكّل غيابُه خسارةً لا تعوّضَ، ستشعرُ بها الضّاد ومحبّوها، وكلُّ من يخفقُ قلبُه بحبِّها.

ولئن تلعثمَ اللّسان في هذا الموقفِ العصيب؛ فإنّ خفقات القلبِ الوجيعِ تسَاعدُهُ في حمْلِ عبءِ هذه المهمّة التي كُلِّفْتُ بها مَمثِّلاً زملائي أعضاء المكتب التّنفيذي وأعضاء الاتِّحاد في تعداد نَزرٍ يسيرٍ من مناقب فقيدنا الغالي.

لكنّها مشيئةُ الله الذي قدّمَ الموتَ على الحياة في كتابِهِ العزيز عندما قال: **﴿تباركَ الذي بيدهِ المُلْكُ وهو على كلّ شيءٍ قدير* الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوَكُم أيّكُم أحسنُ عملاً وهو العزيز الغفورُ﴾**.

لقد كانت رحلةُ فقيدِنا الدكتور ممدوح أضمومةَ عطرِ تختزلُ كلَّ ما في لغتنا من أطياب:

وتوجَزُ في قارورةِ العطرِ روضةٌ

وتوجَزُ في كأسِ الرّحيقِ كُرومُ

كان ليلُهُ ونهارُه مركبَي إبحارٍ في معاجمِ الضّاد، بحثاً دؤوباً عن كنوزِها، يفرحُ قلبُهُ إذا نجَحَ في وضْعِ كتَابٍ يقرّبُ شاردَ اللّغةِ من أذهانِ أبنائِها الذين للأسفِ تزدادُ المساحات بينهم وبينها غربةً وابتعاداً.

كان يصلُ اللّيلَ بالنّهار مُكِبّاً على وضع مؤلّفاتٍ تجلو محاسنَ العربيّة، وهي اللّغة التي ظلّتْ ترفلُ في بُردةِ الصِّبا الرّيّان، ولن تخلعَها عنها إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها.

إنّ الحديثَ عن الآثار الطيّبة التي تركها الدكتور جديرٌ بأن تلهج بذكرِهِ ألسنةُ عشاق الضاد وهو حديث يطولُ ويطول. والعشاقُ لا يَملّونَهُ لأنّهم يعرفون صَوْلاتِهِ وجولاتِهِ في عِلْم اللغةِ وآفاقها، وانصرافَهُ المستمرَّ إلى مسألة التّعريب، وهو مجالٌ علينا السّعْيُ في مضمارِه دونَ كللٍ أو ملَلٍ إذا أردْنا لأمّتنا أن تظلَّ مواكِبةً لمسيرةِ الحضارةِ الإنسانيّة، قادرةً على إثباتِ ذاتِها في خضمِّ الثّقافات العالميّة، وهو بحرٌ زاخرٌ باللآلئ والدُّرر لا يستطيعُ الخوضَ فيه إلاّ كلُّ غوّاصٍ ماهرٍ.

فقدْناك أيّها الغالي وما أحوجَنا إلى أمثالكَ من فرسانِ الضّاد، فقدْناك جَسَداً، لكنّ رُوحَكَ ستظلُّ ترفرفُ بيننا، تحثُّنا على أن نكون أبناءً برَرَةً لأمِّنا الضّاد.

ما أحوجنا في هذا الوقت إلى الحفاظ على الإرث اللغوي والحضاري والمعرفي الذي تركه أستاذنا الراحل، لا سيما وأننا نعاني استمرارية الغزو الفكري

والثقافي، كيف لا؟ وقد كان لهذه القامة الفاعلة والمتنورة أثرُها المهم في ردّه وردعه والتصدي له بكل قوة.

لن يكونَ الفقدُ باباً لنسيانِكَ أيها الأستاذ الألمعي، وأنت الذي قضيت العمر كلَّهُ في خدمة اللغة العربية، رافضاً اختراقها، حريصاً على عدم تشويهها، محاولاً السير بها لمواكبة اللغة الرقمية العصرية من دون أن تفقِدَ هويتها وعراقتها.

في الختام لا يسعني إلاّ أن أتقدم بالأصالة عن نفسي، وباسم زملائي أعضاء اتحاد الكتّاب إلى ذوي الفقيد ومحبّيه وطلاّبه بخالصِ مشاعرِ العزاء، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يلهمهم الصَّبر والسّلوان، وأن يتغمَّد الفقيدَ بواسعِ رحمتهِ، ويُسكِنَهُ فسيحَ جناتهِ.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

د. محمد الحوراني